

جهود كاتس وفودور

إذا كان تشومسكي انطلق من رؤية جد هامة معتبرا اللغة عضوا فيزيولوجيا كغيرها من الأعضاء الأخرى لدى البشر، ممهدا الطريق إلى كل من أراد البحث فيما كان خفيا من البني ، فغنه يمكننا – على حد تعبير الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح رحمه الله - أن نقول : " ... وقد وفق اللغوي الأمريكي نوام تشومسكي عند نقده للبنوية بأنها نزعة تصنيفية أكثر منها تفسيرية إلا أن هذا اللغوي لم ينتبه إلى العلاقة التي تربط هذه النظرة بالفكر الفلسفي اليوناني وأحسن دليل على ما نقول هو أن اللغوي الفرنسي جان كنتينو (Cantineau ...) استطاع أن يحصر العلاقات التي بنيت عليها الفونولوجية في هذه الاندراج أو الاشتمال (inclusion) ثم تقاطع (intersection) ثم التباين (exclusion) فالشيء حسب النظرة إما داخل في جنس وإما مشترك بين جنسين أو أكثر، وإما خارج عنه . فهذا دليل واضح على أن التحليل البنوي إذا صيغ صياغة رياضية فإنه لا يتعدى التحليل التصنيفي ... أما في مستوى تراكيب الكلام فقد صاغ تشومسكي التحليلات التقطيعية صياغة رياضية وتظهر على صورة شجرة أيضاً تمثل فروعها انتماء الجزء اندراجه بالتالي إلى ما فوقه، ولم يرد بذلك أن يبين أن البنوية اندراجية في جوهرها، بل الذي أراده هو أن يبين فقط أن هذا التناول أو المنحى (approche) غير كاف لتفسير بعض الظواهر اللغوية التي يمكن أن تلتبس في ظاهر اللفظ (وذلك كالتراكيب التي تحتل أكثر من معنى . وكان فضل المدرسة التوليدية التحويلية أن أدخلت في التحليل مفهوم التحويل وبذلك وسطعت النظرة الأولى بان جعلت بين كل شجرة علاقة غير اندراجية بل مباشرة، إلا أنها لم تهتم إلا بنوع واحد من التحويلات وهي التحويلات التقديرية⁽¹⁾ وإذا كان تشومسكي و أنصار مذهبه (من النحاة التوليديين التحويليين) الذين " اعتبروا المعجم جزءاً من النحو وأعطوا أهمية ضئيلة لمعاني الكلمات والجمل. (2) فإن مباحث المعنى والدلالة بدأت تعرف النور والاهتمام مع بعض اتباعه وتلاميذه ، " ويعد "جيرولد

كاتز "Jerrold Katz" ، و "جيروم فودور "Jerome Alan Fodor من أهم تلاميذ "تشومسكي"، ويصنفهم البعض على أنهم رائدي التحليل التكويني والسميائي، حيث قاما ببحث شهير في 1963 بعنوان "بنية نظرية علم الدلالة The structure of semantic theory الذي ظهر بعد كتاب "تشومسكي" البنى التركيبية"، أو "البنى

(1) - عبد الرحمن الحاج صالح : كراسات المركز سلسلة يصدرها مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية بالجزائر - (النظرية

الخليالية الحديثة مفاهيمها الأساسية) العدد الرابع 2007 - ص : 2220

(2) - أحمد مختار عمر : علم الدلالة - عالم الكتب / القاهرة - ط 6 - 2006 - ص : 82-

النحوية "Structures syntariques" ، المطبوع في 1957، وقبل كتابه "Aspects" المنشور في 1965. ونجدهما أدمجا استناداً إلى نظرية "تشومسكي" التوليدية نظرية السياق "context" "theory" التي تطورت في بريطانيا ابتداء من سنة 1944 وكذلك نظرية الحقول الدلالية كقوتين متفاعلتين، وقاما بتحليل تكويني لعدد من الكلمات المتقاربة المعنى كالكلمات التي تشير إلى القرابة، أو إلى الألوان، وذلك من خلال السياقات التي ترد فيه هذه الكلمات ... وأكد أن إقصاء المعجم أثناء تحليل البنية العميقة في القواعد التوليدية التحويلية يؤدي إلى إنتاج جمل غير صحيحة ؛ إذ ليس ما يمنع صدور الجملة التالية: شرب الحليب الولد"، "في حالة رفع الحليب ، لأن التلاوم الدلالي بين الدلالات قد

ينعدم في بعض التراكييب ، ولذا تحصل على جمل غير أصولية، أو غير خاضعة إلى القاعدة النحوية، فلا

يتناسب فيها الإسناد، كما أنها لا تكون مطابقة للواقع. (1)

1 - إدراج المكون الدلالي:

أصبح المكون الدلالي مهمة أساسية تكمن في تقديم التفسير الدلالي للجملة التي ينتجها المتكلم في بيئته اللغوية المتجانسة، أو التي سينتجها انطلاقاً من المكون التركيبي، ولا تقتصر وظيفته عند هذا المستوى بل إنه يقوم أيضاً بإعطاء التفسير لكل الجمل غير النحوية وكذا لظاهرة الغموض. ومن هنا أصبحت قواعد النظرية النموذجية تتكون من:

أ- المكون التركيبي

وهو المكون التوليدي الأساسي، ويشبه المكون المركبي لقواعد (1957م)، ويتكون من مكون أساسي يحتوي على مجموعة قواعد إعادة الكتابة، وعلى معجم يشتمل على عناصر مرجعية تحل في التركيب حسب قواعد خاصة، ولكل عنصر من هذه العناصر سمات فونولوجية وتركيبية ودلالية تميزه عن غيره، (2) ونصل بهذه الطريقة إلى البنى العميقة، ويحتوي هذا المكون كذلك على التحويلات وهي في هذه المرحلة كلها وجوبية أو لازمة وهي تنقل البنى العميقة إلى بنى سطحية منجزة في أشكالها مثل: التحويل من المعلوم إلى المجهول، الجملة المنفية الاستفهامية، ومن أهم خصائص التحويلات في هذه المرحلة عدم تغييرها للمعنى، فكل المعاني موجودة في الأساس أي قبل التحويلات.

ب - المكون الدلالي:

(1) - العبادي عبد الحق محاضرات المدارس اللسانية - جامعة ابن خلدون / تيارت - المحاضرة الحادية عشر -

2021/2022 - ص: 155

(2) ينظر: دروس في المدارس اللسانية، شقيقة العلوي، ص: 58، 59

إن أول محاولة جادة في ظل التطور الذاتي للتوليدية والتحويلية كانت تلك التي قام بها "كاتز" و "فودور" من أجل إدماج الدلالة في التركيب، وذلك ما تبناه فيما بعد كل من "كاتز" و "بوسطال" (Katzer Postal)، وقسموا المكون الدلالي إلى مجالين: (1)

1-المكون المعجمي:

وهو قائمة من المداخل المعجمية تتكون من سمات فونولوجية وتركيبية ودلالية، ويسند المعجم لكل كلمة معنى أوليا.

2-قواعد الإسقاط:

وهي القواعد التي تقرر بين الوحدات المعجمية والبنى التركيبية التي يولدها المكون الأساس، فيتوصل بهذه الطريقة إلى مدلول الكلمة. ولتوضيح ذلك نعتمد المشير الدلالي التالي:

أكل ← فعل / ← نام + متعد / / + فاعل في...
أل ← تعريف ← + محمد / مفرد أو جمع / مذكر أو مؤنث...
رجل اسم / / + حي ، إنسان / ، / ذكر / ، / راشد...
تفاحة ← / اسم / طبيعي ، إنبات / / فاكهة / ، / مؤنث...
تخرج قواعد الإسقاط المثيرات الدلالية بالنبي التركيبية، والكيفية التي تتم بها عملية المزج هي التي تحدد التفسير الدلالي للجملة.

ج - المكون الفونولوجي:

ويشتمل على مجموعة من القواعد الفونولوجية فهو الذي يمنح البنية السطحية تفسيرها الصوتي، (2) وتكتب برموز صوتية، ومن هنا فإنّ هذا المكون هو الرابط بين البنية السطحية والمستوى الصوتي حسب قواعد خاصة بكل لغة مثل: بنت ال (أداة التعريف) في اللغة العربية يعطينا البنت.

النحو العربي والنظرية التوليدية التحويلية:

إن المتأمل النظرية "تشومسكي"، يجد أن المبادئ التي نادى بها نظريته، لا تختلف إجمالاً عما جاء به النحو

العربي؛ فهما يلتقيان في مجموعة من الجوانب؛ أهمها صدور كل منهما عن أساس عقلي (3) ؛ ذلك بأن "تشومسكي" يرى أن اللغة وحدة من وحدات العقل، لذلك فهو يتخذ

(1) -اللسانيات التوليدية والتحويلية عادل فاخوري، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1980م، ص: 54.

(2) دروس في المدارس اللسانية، شفيقة العلوي، ص: 61.

(3) عبده الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث بحث في المنهج"، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1979م، ص

نفسه، ص 143

من منهج ديكرت" القائم على العقل، أساسا له في فهم، وتحليل الظاهرة اللغوية (1) ، ومن أهم نقاط التقاطع بين نظرية "تشومسكي" و"النحو العربي":

01- قضية الأصالة والفرعية: تعد هذه القضية من أبرز القضايا التي اهتم بها

النحاة العرب، حيث ذكروا مجموعة من الأصول، وجعلوا ما يقابلها فروعا، فقررروا أن المصدر أصل المشتقات، وأن النكرة أصل والمعرفة فرع، وأن المفرد أصل للجمع، وأن المذكر أصل للمؤنث، وأن التصغير، والتكبير يردان الأشياء إلى أصولها" (2) ، أما "تشومسكي" فينظر إلى الأصلية على أنها "التركيب العميق"، أما الفرعية فهي "التركيب السطحي"، وهذان المصطلحان يعتبران من أقوى الركائز لدى التحويليين (3)

02- قضية العامل: لقد اهتم "تشومسكي" بقضية العامل أما اهتمام حيث نجده قد

جعل نظرية ربط العامل عنده تنطلق من أساسين اثنين: الأثر، والمضمر، وقد افترض في نظريته هاته أن العامل في المقول هو الفعل، والعامل في الفاعل هو ما يسمى الصرفة التي تتضمن صفات التطابق، والزمن، والجهة ، والناظر إلى ما جاء به "تشومسكي" يجد أن نظرية العامل تمثل ذروة ما وصل إليه من نتائج، كما أن خاصية التحويل عنده تتشابه في كثير من أركانها مع ما يزخر النحو العربي من قواعد الحذف والإحلال والتوسع والاختصار، والزيادة، والترتيب (4) والمتمعن في دعائم النظرية التشومسكية" يجد أنها لم تبتعد عن قواعد النحو العربي؛ ومن أدلة ذلك أن "عبد

القاهر الجرجاني" قد سبق "تشومسكي" بزمن سحيق إلى تحديد الفروق الدقيقة بين العميق، وغير العميق من عناصر الجملة؛ إذ فرق بين النظم والترتيب والبناء، والتعليق؛ فجعل النظم لمعان في النفس، وذلك ينطبق مع ما قال به "تشومسكي" من مفهوم البنية العميقة، والبناء عند "الجرجاني" يطابق البنية السطحية الحاصلة بعد الترتيب بواسطة الكلمات، كما أن التعليق هو الجانب الدلالي من هذه الكلمات التي في السياق (5)،

(1) علي زوين، منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد، العراق، ط 01، 1986 ص 43

(2) صالح سليم الفاخري، تصريف الأفعال والمصادر والمشتقات عصمي للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1996 م، ص 12

(3) حسام بهنساوي، أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث في مجالي مفهوم اللغة والدراسات

النحوية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، 1994 م، ص 30 31

(4) نفسه ص 54

(5) محمد عبد المطلب ، النحو بين عبد القاهر و تشومسكي ، مجلة فصول ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، المجلد 05 العدد 12 أكتوبر /نوفمبر/ ديسمبر 1984 م ص 31

ولم يفت "عبد القاهر الجرجاني" الحديث عن القدرة اللغوية المتمثلة في الكفاءة الذاتية الكامنة التي يمتلكها كل متكلم، أو اللغة، التي من يمكنه تكوين، أو توليد عدد غير محدود من الجمل.

مستمع خلالها ومما سبق نصل إلى أن مفهوم اللغة عند كل من "تشومسكي" و"عبد القاهر الجرجاني" يأخذ شكلا عقليا، وهذا الشكل العقلي هو الذي جعلهما يعتمدان النحو التقليدي لإدراك قيمة الإمكانات التركيبية التي يتيحها النحو، وينظر كل من "تشومسكي" و"الجرجاني" إلى المعايير المجردة في اللغة من خلال الفرد الذي يتعامل بها في شكل تعبير جديد؛ إذ القواعد اللغوية ترجع في حقيقتها إلى كل من العقل الداخلي والمنطق عند "تشومسكي"، وإلى الكلام النفسي عند "الجرجاني"، وهذا الطرح التشومسكي يرجع إلى نظريته العامة للطبيعة الإنسانية، واتصالها بالحرية الفردية، بينما يُعزى طرح "الجرجاني" إلى فلسفة دينية تتصل بقدرات الإنسان في الكلام، ومقارنتها بالقدرة الإلهية⁽¹⁾، ولا عجب في وجود جملة من الأمور المشتركة بين نظرية "تشومسكي" و"النحو العربي"، فالواقع أن "تشومسكي" قد درس العبرية القديمة بإتقان، وكان يعتبر من المبرزين فيها، وربما درس أصول النحو العربي عن طريق المترجمات العبرية في "الأندلس"،

وهي مترجمات نقلت قواعد النحو العربي وطبقته على العبرية⁽²⁾، وهذا ما يجعلنا نظن أن "تشومسكي" قد اطلع على النحو العربي القديم.

خاتمة:

لقد استطاع في البداية كل من كاتز وفودور من إقناع التوليديين بأهمية الدلالة ليس على مستوى التحليل التوليدي التحويلي فقط، وإنما أيضا على مستوى التحليل اللغوي عامة، وقد استجاب في البداية إلى هذه الدعوة بوسطال الذي حاول بمعية كاتز من تعميق طرح الدلالة في القواعد التحويلية التوليدية وتبعهما بعد ذلك تشومسكي وكل هؤلاء العلماء شيدوا قوالب ونماذج متكررة ومتفرعة كلها تأخذ النظرة التأويلية كأساس لهم في البحث عن الوسائل العلمية الكافية لتحليل المعنى وتقعيده.

وقد رأينا أن هذه النظرية - التأويلية في القواعد التركيبية والمكون الدلالي بدأ عن طريق إعادة صياغة

قواعد الإسقاط التي تتحرك آليا وفقا لنظام الضم والإدماج المحكومين بقيود الانتقاء، وهذا جعلنا نستنتج

مبكرا بعض المميزات الدلالية المرتبطة بالمكونات ورأينا أن قواعد الإسقاط تحاول عن كتب طرح تأويل بعينه

(1) ينظر عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، تح محمود محمد شاكر ، مكتبة القاهرة مصر 2008م ص

(2) ينظر محمد عبد المطلب ، النحو بين عبد القاهر و تشومسكي ص 35/33

أو تأويلات، حينما تأخذ في الحسبان المميزات المعنوية للمكونات في حالة نظمها مع بعضها بعضاً شريطة كونها متلائمة ومنسجمة، فكيفية اشتغال هذه المكونات تجعل مركز حيويتها محصوراً في البنية العميقة دونما السطحية، وهذا التوجه نجم عنه حكم لساني تشومسكاوي يفيد بقاعدة مفادها: إن الجمل التي تستجيب بشكل كلي لقواعد الإسقاط يجب أن تعتبر جملاً غير نحوية بمعناها العلمي المحدد، أو أنها على أقل تقدير أشباه جمل كما يسميها كاتز في بعض الأحيان، ذلك لأن هذا النمط من الجمل يكون دونما تطبيق لقيود الانتقاء، التي تحاول تشكيل الأساسات الفعالة في عمل قواعد الإسقاط.